صور من حياة المرأة في الغرب

تأليف
د.مازن مطبقاني

الطبعة الأولى
1426هـ/2005م

فهرس المحتويات

- عندما غطّيت رأسي تفتح عقلي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

شغلت المرأة الغربية حيزاّ كبيراً من تفكير نسائنا وبناتنا لأنها تظهر لهن في القنوات الفضائية في الأفلام، وفي قنوات الأغاني في الرقص والتمايل والخضوع بالقول والحركة، وتظهر لهن في المجلات في صفحات الأزياء، كما تعرفن إليها في أثناء السفر والسياحة. وتعرفن إلى المرأة الغربية وزيرة أو رئيسة للوزراء –وإن كان هذه المعرفة هي الأقل- لقد أصبحت المرأة الغربية التي يقدمها الرجل أمامه بزعمهم "السيدات أولاً" أنموذجاً تسعى المرأة العربية المسلمة –غالباً- إلى تقليده.

ولكن من خبر المجتمعات الغربية واطلع على بعض تفصيلات حياتها يجد أنها تعاني الكثير الكثير، وأن الصورة الوردية أو الفاحشة التي يرسمها الإعلام لها ليست إلاّ جزءاً من الحقيقة.

وهذه المقالات التي كتبت على فترات متفرقة ونشرت في أكثرها في صحيفة "المدينة المنورة" أو غيرها من الصحف والمجلات المحلية والخليجية تسعى إلى رسم صورة أقرب إلى الحقيقة للمرأة الغربية. بعض هذه الصور تؤكد حقيقة معاناتها، بينما تقدم في مقالات أخرى صورة المرأة الغربية الواعية

المدركة لمسؤوليتها فتقرر وهي في قمة مجدها الوظيفي أن تعود إلى المنزل رافضة كل الإغراءات. كما تقدم هذه المقالات صورة المرأة الغربية التي كانت تهزأ بالحجاب ثم إذا هداها الله سبحانه وتعالى إلى الإسلام أدركت أن غطاءها لرأسها وجسمها جعل عقلها يتفتح إلى حقيقة السفور والتبرج، وأنها في وضعها السابق كانت بالفعل تسعى إلى لفت انتباه الرجال إلى شكلها وهيئتها وجسمها.

الصور متعددة، فهل تدرك المرأة المسلمة أن قدوتها ليست المرأة اللعوب المتبرجة السافرة التي نزعت عنها برقع الحياء فضاعت وأضاعت، وإنما قدوتها خديجة، وعائشة وأم سلمة وزينت بنت جحش وفاطمة رضي الله عنهن أجمعين.

مازن مطبقاني

الفصل الأول
عمل المرأة والعودة
إلى البيت

المبحث الأول

المرأة الغربية تعود إلى البيت ...!

هل أسلم الغرب قياده للمرأة؟ أو هل انتزعت المرأة القيادة في الغرب؟ هل أحسنت المرأة القيام بدورها في أثناء قيادتها أو هل أدت هذه القيادة إلى كوارث في الحياة الاجتماعية في الغرب؟ لدينا إجابتان إحداهما من امرأة عرفت النجاح في منصب قيادي وأدركت بفطرتها أو أن ظروفها أجبرتها على إدراك أن ما كانت تقوم به مخالف لمهمتها الأساسية: أن تكون أمّاً وزوجا. أما الإجابة الثانية وإن تعددت صورها فهي كتابات قدمها رجال حور دور المرأة، وهل تجاوزت حقيقة هذا الدور (الأم والزوجة) أو لا ، ومن الذي سمح لها بتجاوز هذا الدور؟

تقول المرأة التي وصلت إلى أعلى المناصب القيادية في شركة ببسي كولا (رئيسة عمليات الشركة لأمريكا الشمالية) إنها عملت مدة اثنتين وعشرين سنة ووصلت إلى الحصول على راتب يقدر بمليوني دولار سنوياً ولكن كان عليها أن تختار بين الاستمرار في العمل أو العودة إلى البيت. وسبب عودتها إلى البيت أنها أم لثلاثة أولاد (في العاشرة والثامنة والسابعة) وقد قال لها أحد أبنائها ذات

مرة " لا يهمني أن تكوني امرأة عاملة إذا كنت ستحضرين المناسبات العائلية (أعياد ميلادنا).
وتضيف السيدة بارنز Barnez:"لقد كنت أحترق من جهتين، لقد قمت بجهود كبيرة جداً من أجل شركة ببسي كولا، لقد كان لدي جدولاً مزعجاً ومتعباً وكنت أحضر موائد العمل من غداء وعشاء، وتضيف إن ترك العمل سيكون مؤلماً ولكني أحتاج أسرتي أكثر."
ولأن ببسي كولا تعرف قدرات هذه المرأة فقد حاولت إقناعها بالبقاء رئيسة لقسم حقق أرباحاً تقدر بأكثر من بليون دولار العالم الماضي (1996) وعرضت عليها وظيفة أقل مسؤوليات ، ويقول رئيس شركة ببسي كولا: "لقد تقدمنا بكل اقتراح ممكن لإثنائها عن قرارها ولكن دون فائدة. إن برندا بارنز Brenda Barnes واحدة من أكثر الموظفين التنفيذيين موهبة واحتراماً في صناعتنا، لقد كنّا نعدها لمناصب قيادية أكبر."
ومن النساء اللاتي رفضن المنصب الكبير من أجل الأمومة رئيسة شركة كوكا كولا في بريطانيا السيدة بني هقيز Penny Hugies (35 سنة) وهي أول امرأة ترأس فرع الشركة في بريطانيا تقدمت باستقالتها من أجل أن تضع أول مولود لها. وفي الأسبوع نفسه الذي أصدرت فيه السيدة بارنز قرارها ظهر كتاب:

هل يمكن أن تكوني الرابحة دوماً؟
تحدثت فيه كاتبته التي كانت أماً لخمسة أطفال ومديرة تصف معاناتها بمحاولة التوفيق بين ضغوط العمل وأسرتها.

وفي العدد نفسه من جريدة التلغراف البريطانية Daily Telegraph كتبت مينيت مارين Minette Marrin حول وضع المرأة في المجتمعات الغربية وكان مما قالته في معرض تعليقها على كتاب جديد صدر للمؤلف الأمريكي الياباني الأصل ميشال فوكوياما: "قد لا يكون فوكوياما أول من قال بهذه الآراء عن المرأة ولكنه بالتأكيد من أكثر الرجال صراحة، ففي كتابه المثير للجدل المسمي (نهاية العالم) تناول فيه دور المرأة في انهيار النظام الاجتماعي الغربي بسبب الحرية المدمرة التي حصلت عليها المرأة." ويتحدث فوكوياما عن الفرق بين النظام الاجتماعي الغربي والنظام الاجتماعي في دول آسيا وبخاصة اليابان فيقول إن من أسباب عدم حصول المشكلات الاجتماعية في دول آسيا " أنها حدت بقوة من مساواة المرأة." ويضيف بأن الدول الغربية إذا ما أرادت أن تستحدث قوانين تبعد المرأة عن أسواق العمل، ولم تسمح بإعطاء المرأة أجوراً مساوية للرجل، فإن ذلك سيؤدي إلى اعتماد

المرأة على الرجل وبالتالي يساعد في إعادة الأسرة المكونة من أبوين."

أما السبب الذي قاد فوكوياما إلى هذه النظرة فهو أنه نظر إلى الأمراض الاجتماعية التي أصابت المجتمعات الغربية في الثلاثين سنة الماضية فوجد أنها ترجع إلى حصول المرأة على قدر كبير من الحرية. ويربط فوكوياما بين التطور الاقتصادي والبناء الأسري فيرى أن الزواج والأسرة يبنيان الرأسمال الاجتماعي وهو الذي تعتمد عليه المجتمعات وإن التراجع في الرأسمال الاجتماعي تبعه بلا شك تراجع في الأسرة.

ويشارك فوكوياما هذه الآراء عدد من المفكرين الغربيين فهذا فيليب لاركن Philip Larkin يرى أنه منذ عام 1963 بدأت التدهور الاجتماعي في الغرب بظهور التحكم في النسل والمساواة في الأجور بين الرجال والنساء. فحيث إن النساء يستطعن أن يسيطرن على خصوبتهن ويعلن أنفسهن وأولادهن . ومن هنا أصبح الطلاق وغياب الأب ممكناً بل أصبحت أمراً مرغوباً، وبالتالي تم التقليل من شأن الأبوة. وهكذا فالأطفال الذين عاشوا بلا آباء أنجبوا فيما بعد أطفالاً بلا آباء.

ومن الأفكار التي تؤكدها طروحات فوكوياما وغيره أن الأطفال في الأسر التقليدية

(أم وأب) يمكن أن ينجحوا في المدرسة، ويتعلموا المهارات المختلفة التي تساعدهم على العمل التعاوني في مجتمع معقد تكنولوجياً – مجتمع ما بعد الصناعة- ويقترح فوكوياما أن يتم تشجيع مجتمع الثقافات المتعددة ليستفيد الغرب من الثقافات الأخرى . ولكن الكاتبة لا توافقه على ذلك ربما بسبب انتمائها للحضارة الغربية ونزعتها لسيطرة هذه الثقافة.

هل المرأة الغربية حصلت بالفعل على حرية أكثر مما يجب أو هل الغرب سلمّ قياده للمرأة ؟ إن الإحصائيات عن النسيج الاجتماعي الغربي تؤكد أن أوضاع المرأة ليست بالصورة الزاهية التي يراها البعض من الحصول على حقوق أو حرية أكثر مما يجب. وقد تكون الحرية الزائدة –في نظر البعض – إنما هي قيود. ولذلك عقدت رئيسة البرلمان الاتحادي الأوروبي ريتا زوسموت اجتماعاً مع عدد من ممثلات الأحزاب والمنظمات الأخرى مؤتمراً صحفياً دعت فيه إلى ضرورة إيصال صوت المرأة إلى داخل الدولة والمجتمع وطالبت بسن قوانين تحمي المرأة من العداء عليها وعلى كرامتها من خلال العنف الجنسي وغيره من أنواع العداء ضد المرأة، كما طالبت وسائل

الإعلام أن تمارس رقابة ذاتية أقوى على برامجها التي تعرض للمرأة بشكل يمتهنها .

وفي الوقت الذي تعلن نساء الغرب أنهن عائدات إلى البيت للحرص على عدم انهيار الأسرة أو الحرص على استمرار بناء الأسرة قوياً تتحدث الدكتورة عائشة راتب–أ ستاذة قانون ووزيرة سابقة- بأنها تتعجب من وجود دعاوي في نهاية القرن العشرين تطالب بعودة المرأة إلى البيت، فعودة المرأة إلى البيت- في نظرها-" إنما تؤدي إلى أن "يعود المجتمع إلى التخلف ويفقد نصف قوته الضاربة العاملة التي حققت عشرات النجاحات"، بل تواصل هجومها على هذه الدعوة حتى تقول:

"فالدعاوي التي تطالب بعودة المرأة إلى البيت دعاوي هدفها هدم المجتمع بالكامل." (مجلة **المجلة** 3-9مايو1998م).وكأن الدكتورة لا تقرأ ما يحدث في العالم من اضطرابات؛ ففي المكسيك قام الرجال بإضرابات ومظاهرات يشكون فيها من أوضاعهم الاقتصادية وأنهم لا يجدون العمل مع أن فرص العمل متوفرة وتعطى للنساء. فقد ضاق الرجال ذرعاً بتشغيل نسائهم ومنعهم من الحصول على فرص للعمل. وقد حدثني أحد الإخوة في بلد عربي مسلم أنه تقدم إلى العديد من الجهات إلى العمل باسمه وكان

معظم الردود تأتي بالرفض فقرر أن يكتب إلى الجهات نفسها مستخدماً اسم فتاة فجاءت معظم الردود ترحب به. فأين المساواة بين الرجل والمرأة يبدو أنها انقلبت ضد الرجل في كثير من الأحيان.

فهل نعي الدروس التي يمكن أن نفيدها من تجربة الغرب الذي أصر على إخراج المرأة للعمل في كل الميادين ثم امتهنها في شتى المجالات، بينما كرّمها الإسلام وجعل مسؤولية النفقة عليها من أهم واجبات الرجل ثم أمره بإكرامها واحترامها، كما خصص لها نصيباً من الميراث يفوق في حالات كثيرة ما يحصل عليه الرجال مع عدم تكليفها بالإنفاق على أحد.

المبحث الثاني

عمل المرأة: دروس من الغرب

قبل سنتين تقريباً عرضت قنـاة تلفزيونيـة في واشـــنطن العاصـــمة في أحـــد بـــرامج الحـوارات (Talk Shows) قضية مربيات الأطفال المؤقتات (وقت ذهاب المرأة إلى العمـل) ومـا ترتكبـــه بعض هـــؤلاء المربيـــات من قســـوة ووحشية ضد الأطفال الذين أوكل إليها رعايتهم في غياب أمهم في عملها.

وجرى حوار بين الحاضرات والحاضرين حـول عمـل المـرأة وضـرورته إذا كـان للمـرأة أطفـال في سـن دون المدرسـة. وقـد طـالبت إحدى الحاضرات المرأة العاملة بالتوقف مؤقتاً عن العمل أو ترك العمل للتفرغ لتربيـة أبنائهـا، فردت عليها إحداهن بأنهـا لا تعمـل لتـوفر مـالاً لشراء سيارة فارهة أو بناء قصر مشيد، و لكنها تعمـل من أجـل لقمـة العيش الضـرورية. وهنـا انـبرى أحـد الحضـور قـائلاً: كيـف تطلـبين من المـــرأة أن لا تعمـــل أتريـــدين أن نعـــود إلى القـــرون الماضـــية، لقـــد أصـــبح عمـــل المـــرأة ضرورة (وكأنه بعض المنادين عندنا بضرورة أن تعمـل المـرأة أي عمـل)، ولم أشـاهد أحداً من الحضور يتساءل هل من معـايير التقـدم خـروج المرأة للعمل أي عمل؟

وقد ظهرت العديد من المقالات التي تتناول عمل المرأة ومنها مقال الصديق الدكتور عبد الواحد الحميد في جريدة الرياض، وكذلك مقالة أو مقالتي الدكتور صالح كريم في عكاظ. ولم أرغب أن أدلي بدلوي رغم أنني وضعت هذا الموضوع على قائمة الموضوعات التي أريد أن أتناولها. وفي مطار جدة وجدت عنوان غلاف العدد الأخير من مجلة نيوزويك الأمريكية (19مايو1997م) يقول:"لا وقت للأطفال، كيف يغش الآباء والأمهات العاملون أبناءهم" فأخذت العدد لأقرأ تفاصيل الملف، فوجدت أن الغرب الذي سبقنا بمئات السنين بعمل المرأة ومشاركتها للرجل لديه ما يمكن أن نتعلمه فما ذا في الملف؟

يقول الملف إن تربية الأطفال لا يمكن أن تتم باعتبارها أحد الأعمال اليومية التي نضعها على جدول أعمالنا، كما لا يمكننا أن نربي أطفالنا بطريقة عقد الاجتماعات مع الأطفال، فهذه خدعة. ومن العبارات ذات المغزى في الملف: "المربيات أو جليسات الأطفال لا يمكن أن يقمن مقام الأم في التربية". وقد أشار الملف إلى كتاب أصدرته الباحثة في علم النفس هوتشايلد عنوانه (قيود الزمن) تقول فيه: "معظم العائلات العاملة هم سجناء أو صانعوا قيود الزمن يجدون أنفسهم خاضعين

لهـذه القيـود، وتضـيف بأنـه كلمـا ازداد الـوقت الذي تقضيه الأمهات مع الأطفال في نشـاطات مختلفــة كــالطبخ وأعمــال المــنزل الأخــرى يتبـادلون خلالهـا النظـرات والابتســامات كلمـا كان ذلك أفضل لتنشئة أطفال أسوياء، وليست المسألة قضاء بضع دقائق مع الأطفال كل يـوم أو مرة في الأسـبوع، وتضـيف بـأن اللقـاء على مائدة العشـاء بينمـا التلفزيـون مفتوحـاً ليسـت كاللقاء بدون أن يكون جهاز التلفزيون يعمل"

وفي الملف نجد عبارات مهمة مثل: "الثقة بالنفس لـدى الطفـل تـتزعزع إذا عـرف أن والديــه أو أحـدهمـــا لا يهتمــان بــه كــل اهتمامهـا. فهـذا الاهتمـام يضـيع حينمـا يتسـابق الوالدان الساعة السابعة والنصـف صـباحاً نحـو الباب كل متوجه إلى عملـه، وقـد يكـون ذهـاب الوالدين في وقت قبل ذلك بكثير. والـذي يمنـع كثير من الآباء والأمهات عن قضاء وقت أطـول مـع أولادهم أن الاهتمـام بالاحتفـاظ بالوظيفـة والحصول عـلى الترقية يطغيـان على الاهتمـام بالأطفــال، فالمحافظــة على الوظيفــة في الأوضــاع الاقتصــادية الصــعبة يجعــل الآبــاء والأمهـات يضـحون بأسـرهم من أجـل لقمـة العيش.

ومن الأمور اللافتة للانتباه الحديث عن الاتجاه الجديد لدى الآباء والأمهات في الولايات

المتحدة الأمريكية وأوروبا إلى تخفيض ساعات العمل والتنازل عن بعض الامتيازات الوظيفية مقابل البقاء مع الأبناء. فقد اتخذت بعض الأسر القرار بتخفيض مصروفاتها بالانتقال إلى منطقة سكنية أرخص أو أقل كلفة أو السكنى بالقرب من عمل الأم أو الأب حتى لا يضيع الوقت في المواصلات. كما ذكر بعض الآباء أنهم اختاروا أن يعملوا عملاً لا يستغرق النهار كله ليمضوا أطول وقت ممكن مع أطفالهم، كما ذكر بعض الآباء والأمهات أنهم تركوا الوظيفة ليعملوا من منازلهم. ويلاحظ أن هذه القضية تثار في الوقت الذي انخفض فيه عدد أفراد الأسرة الأوروبية والأمريكية فلم يعد يزيد عدد الأطفال في الأسرة عن اثنين بينما كان هذا العدد يصل إلى أربعة أو أكثر قبل عشرين سنة أو يزيد.

وأشار الملف إلى أن الوضع في أوروبا مختلف جداً بالنسبة للوقت فإن هولندا قد أعلنت أنه بإمكان الموظف أن يعمل أربعة أيام بدلاً من خمسة إن شاء، كما أن بعض الشركات والبنوك تسمح لموظفيها أن يختاروا ساعات العمل التي يرغبون العمل فيها. وقد توصل الأوروبيون إلى أنه ليس المهم عدد الساعات التي تعملها بقدر ما تنتجه في هذه الساعات.وفي النرويج تُعطى الأمهات

إجـازة مدفوعـة الـراتب مـدتها سـنة تقريبـاً، ويحصل الآباء أيضاً على إجازة أربعة أسابيع.

وتناول الملف قضية مشاركة الآباء في التربية وفي أعمال المنزل حيث إن الدراسـات تظهـر تغـير مفهـوم الآبـاء نحـو المشـاركة في الأعمال المنزلية الـتي كـانوا يـأنفون منهـا في الماضي. وأتعجب عندما أسمع مثل هذا الكـلام من الغربيين فإن سيد الأولين والآخـرين سـيدنا محمد ﷺكان يعين أهله في أعمال المـنزل، فقـد روى الترمــذي أن عائشــة رضــي اللــه عنهــا سئلت: ماذا كـان يفعـل رسـول الله ﷺ في بيتـه قالت:"كان بشراً من البشر، يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه".

وفي الوقت الذي يبحث الغربيون عمومـاً عن حلـول لمشـكلاتهم نجـد أن بعضـنا يغالط في القـول أن أبنـاء المـرأة العاملـة كـذا وكذا، بينما أبناء النساء غـير العـاملات يتصـفون بكــذا وكــذا ...فــالأمر ليس بهــذه الســهولة فالأحكام ينبغي أن لا تطلق جزافاً بـل علينـا أن نقـوم بدراسـات على أوضـاعنا المسـتجدة وأن نبحث في تجــــارب الأمم الأخــــرى لنتجنب السلبيات ونأخذ بالإيجابيات.

المبحث الثالث

المربيات والأطفال

مما يوصف به المجتمع الأمريكي أو الغربي بعامة انه مجتمع مفتوح أو منفتح على نفسه، فلا تكاد تظهر مشكلة أو تبرز ظاهرة من الظواهر الاجتماعية أو الفكرية حتى يبدأ الحديث عنها في وسائل الإعلام المختلفة من صحافة وإذاعة وتلفاز وتتجه مراكز الأبحاث والجامعات والمعاهد العلمية لدراستها ، وقد يصل الاهتمام إلى الحكومية الفدرالية فيشكل الكونجرس اللجان الخاصة بدراسة تلك الظاهرة.

ومن الظواهر التي شاهدت التلفاز الأمريكي يناقشها في أكثر من محطة وبرنامج: ظاهرة سوء معاملة بعض المربيات للأطفال أثناء غياب الوالدين عن البيت حيث يعملان لمواجهة متطلبات الحياة الضرورية. وكعادة المجتمع الأمريكي لجأ إلى التكنولوجيا لكشف ما تفعله بعض المربّيات مع الأطفال. وبالفعل تم تركيب كمرة خفية في المنزل وكانت النتائج مخيفة أو حتى مرعبة؛ فقد لوحظ أن بعض المربيات يقمن بمعاملة الأطفال بقسوة ووحشية فإحدى المربيات كانت تضرب الطفل الصغير بقلم الرصاص على رأسه، بالإضافة إلى الصراخ المستمر في وجهه الطفل حتى

ينام، بينما قامت أخرى بحبس الطفل في الحمام وذهبت للحديث في الهاتف مع إحدى صديقاتها، أو مشاهدة أفلام الفيديو.

ومن الحلول التي اقترحت أن لا يلجأ الوالدين للبحث عن المربيات عن طريق الإعلان في الصحف، بل الأفضل اللجوء إلى المؤسسات الخاصة بالتوظيف ذلك أن هذه المؤسسات تقوم بالبحث في سجل المتقدمة للوظيفة للتأكد من أنها ليست لها سوابق في الجريمة، كما تقوم بإجراء مقابلات معها للتأكد من سلامتها عقلياً ونفسياً بينما مثل هذه الأمور لا يمكن للوالدين اكتشافها بقدراتهم الخاصة.

ودار نقاش في أحد برامج الحديث(Talk Shows) فما كان من إحدى الحاضرات أن قالت للمرأة التي تعاني من المربيات: لماذا لا تتركين العمل وتتفرغين لأطفالك في هذه السن؟ ولكن الأم أجابت بسرعة هل تظنين أنني أعمل من أجل شراء سيارة فارهة؟ إنني أعمل من أجل الحصول على متطلبات الحياة الضرورية. وتدخّل أحد الحضور - ولكن بأسلوب لم يكن مهذباً- فوصف صاحبة الرأي بأنها جاهلة بالواقع فالمرتبات في البلاد لم تزد كثيراً منذ عام 1975م ولذلك فعمل المرأة ضروري.

والدرس الذي نفيده نحن من مثل هذه القضايا أن نحاول مناقشتها والبحث عن الحلول المناسبة لها في ضوء الشريعة الإسلامية الغراء. وقد صدرت بالفعل عدة كتب عن مشكلة المربيّات. أما الحل الإسلامي فهو تخفيض ساعات عمل المرأة إلى أدنى حد ممكن - إذا كان عملها ضروريا- كما ينبغي أن نذكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فرض لكل رضيع من أطفال المسلمين، فلما سمع بكاء الطفل في المسجد وعلم أن أمه تحاول فطامه قبل الأوان بكي رضي الله عنه وجعل المساعدة لكل مولود. وأعرف أن الحكومة البريطانية تفرض لوالدي الأطفال ما يسمى معونة الحليب. ولكن لا أدري هل هي كافية لكيلا تنشغل الأم عن أطفالها.

وقد زرت عائلة أمريكية في خريف عام 1995م فعلمت أن الأم كانت تعمل ساعات محددة حينما كانت أطفالها صغاراً حتى لا تتركهم في أيدي المربيات. ولعل الحل يكمن في بحث هذه المشكلة بصورة أعمق لمعرفة الاحتياجات الضرورية للمواطنين، ومحاولة تلبيتها دون الحاجة إلى خروج المرأة في الوقت الذي يحتاجها فيه أطفالها. والمسألة من ناحية اقتصادية في صالح أي بلد يسعى لأن تكون الأم هي المربية لأن ذلك سيرفع مستوى

التربية ويخفف معدل الجريمة التي تحتاج معالجتها إلى أموال طائلة فتكون الخسارة أكبر أو كما يقول المثل العربي (كأننا يا بدر لا رحنا ولا جينا).

الفصل الثاني
المرأة في نظر بعض مفكري الغرب

المبحث الأول

فوكوياما مع المرأة أو ضدها؟

بـدأت شـهرة البـاحث الأمـريكي الجنسـية اليابـــاني الأصل ميشـــال فوكوياما منذ نشر مقالته المعروفـة(نهاية التـاريخ) الـتي تحـدث فيها عن أن الديموقراطية الغربية قد حققت النصر على كل المذاهب الأخرى وأن هذا إيذان بنهاية التـاريخ. وهي مقولة فلسـفية سـبق أن قـال بها فلاسـفة أوروبيـون سـابقون. والسـبب في شـهرة هـذه المقالة أن جهـات معينة في الولايـات المتحـدة الأمريكية بعثت بنسخ من المقالة إلى عـــدد من المثقفين قبل أن تظهر في إحدى المجلات الأمريكية ليبدوا رأيهم فيها. وهـذا يعطي المقالة ذيوعـاً وانتشـاراً. وكـانت مقولة فوكوياما هذه من بين الموضوعات الـتي ناقشها مهرجان الجنادرية قبل سنتين.

المهم أن فوكوياما خـرج إلى النـاس بعد مقولته الأولى بمقولة جديدة أو فلسـفة جديـدة حـول دور المـرأة في ازدهـار الحضـارة أو اضـمحلالها. وقد نشـرت جريـدة التـايم اللندنية مقالة بقلم مـنيت مـارين Minette Merrin جـاء فيها أن فوكوياما يضع اللـوم كله على النسـاء بأن الثلاثين سنة الماضية التي انتشر فيها تحرر المرأة قادت إلى كل الأمراض الاجتماعية الـتي يعاني منها الغرب. وتقـول المقالة إن فوكوياما

قد لا يكون أول من قـال بهـذه الفكـرة لكنه بلا شك كـان جريئـاً جـداً بهـذا الطـرح في كتابه الجديد (نهاية النظام) The End Of Order حيث ينـاقش فيه دور المـرأة في انهيـار المجتمعـات الغربية بسـبب الحرية المـدمرة ويقـول فوكوياما: "إن السـبب في أن المجتمعـات الأسـيوية ابتـداءً من اليابـان كـانت قـادرة على تجنب المشـكلات الـتي واجهت المجتمعـات الأوروبية والأمريكية هو أنها كـانت قـادرة على مقاومة مسـاواة المـرأة مع الرجـل". ويطـالب فوكوياما المجتمعات الغربية أن تعود إلى فرض التفاوت في الأجور بين النسـاء والرجـال حـتى تعود المرأة إلى الاعتماد على الرجل في دخلها فهذا قد يساعد في عـودة الأسـرة المكونة من الوالـدين"(نسـبة كبـيرة من الأسر في الغـرب الآن يعولها أحد الوالدين فقط)

ويحدد فوكوياما السنة التي بدأ فيها انهيـار الأسـرة وهي سـنة 1967 أو 1963 كما يفضل كـاتب المقـال حينما انتشـرت موانع الحمـل، وفرضت الأجور المتساوية بين المرأة والرجـل. فعندما أصـبحت المـرأة قـادرة على السـيطرة على خصوبتها وأصبح لـديها دخل كـاف فلم تعد معتمـدة على الرجل وأصـبح الطلاق والعيش بـدون زوج أمـراً ليس ممكنـاً فقط بل أصـبح مرغوباً.

أما النظرية الأخرى التي جـاء بها فوكوياما وأطلق عليها جـــــون أوميســـــنكي في بعض الصــــحف الأمريكيـــــة(**الشـــرق الأوسط** 29أغســطس 1998م) (تـــأنيث المســتقبل) ومفادها أن المـرأة سيصـبح لها قـوة أكـبر في المســتقبل حيث إن عـــدداً أكـــبر من النســـاء سـيدخلن مجـال السياسة ولأنهن يعشن أطـول فـإن من المتوقع أن يصـبح لهن قـوة سياسـية أكــبر وذلك حيث يـــدخلن الانتخابــات وينتخبن نســـــاءً مثلهن. وذكر بعض الأرقـــــام وهي أن النساء فـوق الخمسـين سـيمثلن ثلث السـكان في أيطاليا وفي ألمانيا ويستنتج من ذلك قـائلاً: "يبــدو من المؤكد أن النســاء سـينتخبن المزيد من القيادات النسائية اللاتي سيكون ميلهن نحو التدخل العسكري أقل مما اعتاده الرجال الذين في منتصف أعمـــارهن". ويؤيد فوكوياما كلامه بالحـــــديث عن عدوانية الرجــــال والنزعـــــات التنافسية بينهم بينما تقل بين النساء.

هذان الموضوعان يستحقان نقاشاً أوسـع، لكن يمكن القــول باختصـــار أنه ليس اعتمـــاد المرأة على نفسها أو تحررها هو الذي قـاد إلى انهيار الأسـرة في الغـرب ولكن سـبب ذلك أن الغــــرب يفتقد إلى القيم الحقيقية للأســــرة وللعلاقة بين الرجل والمـــرأة. فالإســـلام يقر أساســاً بمســاواة المــرأة مع الرجل (النســاء

شقائق الرجـال)، ولكن لا يكلفهن الإنفـاق على الأسـرة مهما كـان دخل المـرأة أو ثروتهـا. والعدل هو الأساس الذي قـامت عليه الشـريعة فلا يمكن أن تعطى المرأة أجراً أقل من الرجل لنفس العمل.

أما نظريته عن تـأنيث المسـتقبل فـإن الحضارات التي تخـرج فيها المـرأة عن طبيعتها الأساسية من كونها أمّـاً وزوجة وركنـاً أساسـياً في الأسـرة إلى أن تتعـاطى الأمـور العامة أو تكـون هي الحاكمة فـإن هـذه هي المرحلة الأخيرة لأي حضارة وقد صـور المـودودي رحمه الله أنها نهاية الحضـارة والـرقي عنـدما تصـبح النساء أمور الحكم بيد النساء.

المبحث الثاني

مادونا بين العالِم والكاردينال.

يظهر في الغـرب بين الحين والآخر أفـراد يُمْعِنــون في الشــذوذ حــتى إن المجتمعــات الغربية الـتي قبلت كثـيراً من الانحرافـات على أنها سلوك عادي أو مقبـول تـرفض مثل هـؤلاء الأفراد. فقبل عقود من الزمن ظهرت مجموعة أســـمت نفســـها بـ (الخنـــافس)(Beatles) وتشبهت بهم في شكل شـعورهم ومنهم بـدأت الموسـيقى الصـاخبة (الصـخور المتدحرجـة)(Rolling Stones)

ومنذ ذلك الحين والشـاذون يكـثرون حـتى ظهـرت المطربة الراقصة مادونـا، ففـاقت في فجورها وشــذوذها وخروجها على المـألوف كل من سبقها، ولن أجرح شعور القارئ بذكر بعض شطحاتها. ومن الطبيعي أن يسـعى المخربـون لنشر صرعات هذه الشـاذة في أنحـاء العـالم ، فقــامت مــؤخراً بجولة زارت فيها ألمانيا ودولة يهود وتركيا.

ومن الـدول الـتي عـزمت مادونا أن تنشر صــرعتها فيها بورتو ريكــو(إحــدى دول أمريكا اللاتينية أو الجنوبيــة) وهــذا أمر أزعج الجهــات الدينية فيها . وقد كتبت جريــــدة الحيـــــاة(ع 11203 في 16 أكتـوبر 1993) أن الكاردينـال لوي أبونتي مارتينيز بـدأ " يصـلّي حـتى لا تـأتي

المغنية الأمريكية مادونا إلى جزيـرة بورتو ريكو في نهاية الشهر الجاري لإحياء حفلة." وتضـيف الصـــــحيفة " وأعلن الكاردينـــــال وهو أعلى مسـؤول كـاثوليكي في تلك الأراضي الأمريكية الواقعة في أرخبيل الكاريبي أن " مادونا تجسد قيمة سلبية للبورتوريكيين وللشبيبة " "وطـالب الكاردينال بإلغـاء الحفلـة، داعيـاً الكاثوليك إلى الامتنـــاع عن شـــراء منتجـــات شـــركة ببسي متعهدة الحفلة التي سـتقيمها مادونا في جولتها العالمية."

إن موقف الكاردينـــال هـــذا هو الموقف الـذي يمليه عليه دينه الـذي يـرفض الانحـراف والشـذوذ والخلاعـة. ولكن هل الغـرب الـذي فـرض "الفصـام النكـد" بين الـدين والسياسـية جعل رجل الدين هذا لا يستطيع أن يفعل شـيئاً سـوى الصـلاة والـدعاء، ومناشـدة المواطـنين مقاطعة الحفلة ومقاطعة منتجات الشركة التي تعهدت إقامة الحفلة وهي شركة ببسي كولا.

لقد حكم رجال الـدين النصـارى أوروبا في عصـورها الوسـطى فكـانت في ظلام شـديد فزادوها ظلامــاً على ظلام .حكمــوا فاسـتبدوا وطغـــوا وحرّمـــوا العلم والتقـــدم وشـــجعوا الخرافات والتخلف. وبلغ من طغيانهم أن باعوا صكوك الغفران فهبت أوروبا متمردة على هـذا الحكم البغيض.

وأين هـذا من الـدين الـذي نشأ في النـور داعيـــاً إلى العلم والتقـــدم والتحضر ، تســـلم القيــادة فيه العلمــاء والحكّــام العلمــاء ، ولم يحـدث في تـاريخ الأمة الإسـلامية هـذا الفصـام النكد بين الـدين والسياسة حـتى عنـدما تسـلم القيادة حكام ليسوا علمـاء لكنهم بلا شك كـانوا على درجة من معرفة أساســيات هــذا الــدين الذي يقـدم رأي العلمـاء حينما تحتـاج الأمة إلى إرشاد وتوجيه عملاً بقوله تعالى (فاسألوا أهل الـذكر إن كنتم لا تعلمــون) وقوله تعـالى(ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم)

فلو كانت مثل هـذه المـرأة الشـاذة تعـزم على زيارة بلد إسلامي وأخطأ حاكم مسلم في الســماح لها ، فــإن العــالِم المســلم لن يقف مكتوف اليدين أو يكتفي بالدعاء والمناشـدة بل إن العالِم المسـلم لن يتـأخر عن الوصـول إلى مثل هــذا الحــاكم يــأمره وينهــاه. إن أبا جعفر المنصــور الــذي كــان يعد فحل بــني العبــاس ومؤسس دولتهم الحقيقي خـــاطب ســـفيان الثـــــوري رحمه الله قـــــائلاً: " لم لا تأتينا فنستشــيرك فما أمرتنا بشــيء صــرنا إليه وما نهيتنا عن شيء تركناه." ولما أخطأ أحد الحكام في التعاون مع النصارى الصـليبيين ما كـان من العز بن عبد الســـلام إلاّ أن أعلن من فـــوق

المنبر بتحريم بيع السلاح للصليبيين وأن الحاكم الذي يتعامل معهم على خطأ.

هـذا الكاردينـال الـذي فـرّط أسـلافه في مكانتهم الحقيقية يدعو اليـوم فلا يسـتجاب له ، وستأتي مادونا. أما علماؤنا فهم بحمد الله بخير وإنهم لن يفرطوا في الأمانة التي أنيطت بهم. (*)

* - كان من المقرر أن يزور المغني الأمريكي الشاذ مايكال جاكسون دبي في الإمارات العربية المتحدة ولكن العلماء احتجوا لدى حاكم دبي فقبل رأيهم وألغيت الحفلة بعد أن بيعت التذاكر إلى كل دول المنطقة .

الفصل الثالث
السلوك الاجتماعي للمرأة الغربية

المبحث الأول
المرأة في الغرب :مدنيّةً قادت إلى التوحش

التقيته مصـــادفة في مطـــار جـــدة القديم(جداً) وهو يهم بوضع حقائبه لدى موظف قسم الأمانـات فسلّمت عليه لسابق معرفتي به حينما كنّا مبتعـــثين للدراسة في الولايـــات المتحـــدة الأمريكيـــة. وقلت له هل يا تـــرى لو وضـــعوا خزانـــات وعليها مفـــاتيح يســـتخدمها المســـافرون بأنفســـهم دون الحاجة لانتظـــار موظف الأمانات الـذي قد لا يكـون في مكانـه، أليس هذا أفضل ونحن بـذلك نـوفر يـداً عاملة يمكن أن تؤدي عملاً آخر؟ فقـال لي لا ليس ما تقول أفضل، فهذه حضارة الغرب الـتي جعلـت الآلة تحل محل الإنسـان في كل شـيء تقريبـاً فقست مشـاعرهم ، وأصـبح تعـاملهم مع الآلة أكـثر من تعـاملهم مع البشـر. انظر إليهم آلات لبيع القهوة، آلات لبيع الشاي والحساء والعصير والمرطبات، آلات لبيع الصـحف 000آلات آلات آلات000

تذكرت هذا الحوار حينما قرأت خبر المرأة الألمانية التي ألقت بطفلها من ارتفاع عال. كم تتحمـل هـذه المـرأة من اللـوم؟ كيف وصـلت إلى هـذه الحـال من تحجر المشـاعر وقسـوة القلب ؟إنها نتـاج هـذه الحضـارة الماديـة، فلا

سبيل إلى توجيه اللوم إليها وحدها. فقد عاشت بين أبــوين طغت المــادة على حياتيهما فما أن بلغت السادسة عشرة من عمرها حتى طالباها بالإسهام في تكاليف معيشـتها بينهمـا، فعملت وكدّت حتى تدفع أجـرة إقامتها معهما وتكـاليف طعامها وشـرابها. وبعد أن تـدفع فلا شـأن لهما بحياتها تأتي مـتى شـاءت وتخـرج مـتى شـاءت ويزورها من تشاء000الخ.

وحتى عندما تعمل المرأة فإنها تشارك زوجها نفقات المنزل كما يشـارك الـزوج وربما زيادة عن الرجل، وقد روت إذاعة لندن في أحد برامجها قصص نسـاء تملكهن حب الانتقـام من الرجـال فبعد أن تنفق المـرأة على الرجل زمنا طويلاً تكتشف في يـوم من الأيـام أنه يخونهـا. وقد ارتكبت بعض هـــذه النســـوة كثـــيراً من الحماقات بزعمهن أنهن ينتقمن من الرجال.

ولم تكن قصة المرأة الألمانية فريدة من نوعها فقد نقلت إلينا صـحف الغـرب ووسـائل إعلامه قصصا أخـــرى أذكر منها المـــرأة الـــتي خنقت طفليها بالوسـادة ثم خـرجت إلى حديقة المنزل لتسمر مع زوجها وكأنّ شيئاً لم يحـدث. وكـــذلك قصة المـــرأة الأمريكية الـــتي ألقت بطفليها في النهر وادعت أن رجلاً أســـــود هو الـــذي قتلهما، وأخـذت تتصـنع البكـاء والحـزن

عليهما أمـام كمـرات التلفزيـون حـتى افتضح أمرها.

إن اهتمامنا بما يقع في الغرب إنما هو للتأكيد على مكانة المرأة في الإسـلام ومحاولة تجنيبها ويلات العمل ومشاقه. فإن المرأة الـتي تخضع لقسـوة العمل ومتطلباته ثم تعـود إلى المنزل لتواجه متطلبات الزوج والأطفال وعليها أن تقدم إليهم مشاعر الحنو والعاطفة والرحمة لاشك أنها ستفشل في ذلك لأنهـا هي نفسـها في حاجة إلى من يـرعى شـؤونها ويقـدم إليها تلك المشاعر التي من المفروض أن تكـون هي نبعها.

فهل تنتبه مجتمعاتنا الإسلامية إلى هذه القضـايا وتسـعى إلى التخفيف عن المـرأة لتتفرغ أكثر لبيتها وزوجها وأطفالها حتى يتجنب الوصول إلى هذه المرحلة الخطيرة الـتي وصل إليها الغـرب. وليس هـذه دعـوة إلى تعطيل طاقات المـرأة كما يقـول الـداعون إلى خـروج المـرأة ولكن للإفـادة من هـذه الطاقـات فيما خلقت من اجله. ولا ننسى أن المرأة المسـلمة على مر التـاريخ كـان لها دور رائـع. وقد سـئل عالم فرنسي ما الـذي هـزم فرنسا في الجزائر فقـال: "إنها المـرأة الجزائريـة". وقد تحـدث الأسـتاذ عبد الحليم الخفـاجي- صـاحب كتاب(حوار مع الشـيوعيين في أقبية السـجون)

-عن دور المـــــرأة في مصر عنـــــدما تعرضت الحركة الإسلامية للاضطهاد في العهود السابقة فقدم صوراً رائعة لجهاد المرأة المسـلمة. فهل نعتـــبر مما يحـــدث في الغــــرب.أو ننتظر أن تطالعنا المجلات الــتي أصــبحت متخصصة في أخبار الجريمة عن جــرائم مماثلة في مجتمعاتنا ؟والله الهادي إلى سواء السبيل.

المبحث الثاني
المرأة الغربية والانتقام

ليس الانتقام طبعاً خاصاً بالمرأة، ولكنها لضعفها وعدم قدرتها أحياناً على المواجهة تلجأ للانتقام. وقد كان هذا موضوع أحد برامج إذاعة صوت أمريكا قبل أيام([*]). تحدثت المرأة الأولى عن علاقة ربطتها برجل أحبته وعاشت معه وأخلصت له لدرجة أنها كانت تساعده في بحوثه الجامعية. حتى كان يوم من الأيام جاءها يعلن لها أنه يريد أن يرى امرأة أخرى فغضبت غضباً شديداً ، وثارت الدماء في عروقها وما درت ما تقول له. وكانت في تلك الأثناء تعد له بحثاً في أحد الدروس فما كان منها إلاّ أن ذهبت إلى المكتبة واستعارت أحد الكتب ونقلت منه حرفياً عدة صفحات دون الإشارة للمصدر مما يعد سرقة واضحة وضعفاً في إعداد البحث. فما كان من الأستاذ إلاّ أن أعطى حبيبها علامة الرسوب (بجدارة) وقد اعتقدت المرأة أنها انتقمت منه.

---

[*] -كتب هذه المقالة عام 1415 ، وأعتقد أن الأمور في الغرب تسير إلى أسوأ في هذا المجال تؤكد ذلك دراساتهم الاجتماعية وإحصائيات الزواج والطلاق ، والجريمة. وهناك اتجاه لزيادة العنف لدى المرأة ليس ضد المرأة ولكن ضد الرجل أيضاً.

أما المرأة الأخرى فقد أحبت رجلاً وكانت امرأة عاملة فتزوجها ولما أرادت وزوجها شراء منزل قامت بدفع مبلغ كبير من الدفعة الأولى.وكانت تنفق على المنزل بقدر إنفاقه وربما أكثر. وبعد مرور ثلاث سنوات على هذا الزواج اكتشفت أن زوجها يخونها مع امرأة أخرى. وقد تركها للعيش مع تلك المرأة. فما كان فمنها إلاّ البحث مشقة عن المكان الذي يعيش فيه وركبت سيارتها وسارت عدة ساعات وهي في حالة نفسية سيئة حتى وصلت إلى المكان المقصود فما كان منها إلاّ أن كتبت بخط كبير عبارات بذيئة تشتمه بها.

وتوالت قصص الانتقام في البرنامج ، ولكننا نتوقف عند هاتين القصتين لتحليل محتواهما والبحث عن الانحراف في تصرفات المرأة والرجل. فالمرأة الأولى أعطت نفسها لرجل دون رباط شرعي ، عاشت معه مكّنته من نفسها ، جعلت نفسها زوجة له دون زواج. وهذا الرجل قد اختارها من بين عشرات أو مئات النساء اللاتي يعرفهن. لقد وقع في حبها -كما يقولون- وبادلته هي الشعور نفسه بعد معرفتها لرجال آخرين ، واختارا العيش معاً تمهيداً للزواج.

وهكذا فقد سلكا الطريقة العصرية الحديثة-كما يزعمون- في اختيار الشريك ،بينما

الطريقة التقليدية القديمة هي تلك التي تساعد الأسرة في الاختيار. ولا يمكن للمـرأة بـالعيش مـع الرجـل إلاّ في وضـح النهـار بـان يتقـدم لخطبتهـا من أهلهـا ،وتعلن الخطبـة والـزواج. ولكنهم رفضوا التقاليد والشرعية.

وعاشا معاً فترة من الزمن حتى اسـتهوته امرأة أخرى ، ولم يكن ثمة مـا يربطـه بـالمرأة الأولى سوى قصة الغرام ، والمصلحة بأن كـل واحد مثّـل دور الـزوج للآخـر. لـذلك فهـو يبحث عنـد المـرأة الثـانية ما لم يجـده عنـد المـرأة الأولى. وسـوف يظـل يجـد امـرأة ثالثـة ورابعة....الخ. دون أن يصـل حـد الشـبع فليس هناك ما يحـدد لـه عـدد النسـاء اللاتي يمكن أن يرتبط بهن في وقت واحد.

ولو كان هذا المجتمـع يعيش وفقـاً للمنهج الربّـاني وكـان الـزواج فيـه مبـني على ارتبـاط عـائلتين، وأنـه لا يمكن الارتبـاط إلاّ في العلن لاحـترم الرجـل هـذه الشـروط. أمـا رغبتـه في الارتباط بزوجة أخرى أو امـرأة أخـرى كمـا هـو الحال حالياً (دون زواج) فيؤكد أن الرجل نـادراً مـا تكفيـه امـرأة واحـدة. ولـو نظرنـا إلى حيـاة المجتمع الغربي لتأكد لنا هـذا. فهـو حين يـترك الزوجة صباحاً تواجهه المرأة في محطة القطار أو في الحافلـة ثم السـكرتيرة في مكتبـه أو الموظفـة الزميلـة أو الرئيسـة. ولـو ذهب إلى

السوق لاشترى من امـرأة واحتـك بالنسـاء في حالات لا تعد ولا تحصى منها على سبيل المثال أنهم اسـتخدموا النســاء في الغــرب للـترويج لأنــواع البضــائع من إطــارات الســيارات إلى ملابس النســــــــاء إلى الخمــــــــور إلى السيارات ..وغيرها.

لقد أشبع الرجـل الغـربي رغبتـه في أكـثر من امــرأة واحــدة حين أبــاح لنفســه تعــدد الخليلات ، وكان لا بد للمـرأة الـتي اعتقـدت أو تمكن منها الاعتقـاد بأنـه ليس من حـق الرجـل أكثر من امرأة واحدة، وأن عقد الزواج إنما هـو ربــاط " مقــدس "و أبــدي. أو حــتى الحب الشـهواني الـذي يجعلهـا تعيش معـه من غـير زواج لا يبيح له الارتباط بغيرها خدعها ذلك كلـه عن حقيقــة أن الرجــل يمكن أن يكــون زوجــاً صادقاً ومخلصاً لأربعة نساء في المنهج الربـاني الذي اشترط شرطاً ليس عسيراً ألا وهو العدل في المسكن والنفقة.

أمـا المـرأة الثانيـة فلا تختلـف عن الأولى لولا أنها من فرط حبها وجهلها بالرجـل سـلمت له أموالها.

إن مثل هذه الحالات هي القاعدة وليسـت الشذوذ في الغرب، ولو طبقنـا نحن المسـلمين الإسـلام تطبيقاً صحيحاً ولم ننخدع بما يأتي من الغـرب من ألـوان الأفلام الـتي تمجـد الـزواج

بواحـــدة فقـط لالتفت إلينـا. فمن يكتب لنسـاء الغرب يوقظهن من تلك الهجمة الشرسـة على مكانة المرأة في الإسلام فإنها والله أعـز ألـف ألف مرة من الظلم والظلام والاضـطهاد الـذي تعيشه في حياتها المعاصرة.

المبحث الثالث
الحياء ونساء الغرب

لا تكـــاد تمضي أيـــام دون أن يظهر في الغرب هنا وهنـاك كتـاب عن الحيـاة الاجتماعية في العـــالم الإســـلامي، ومن الأمثلة على ذلك ظهـور كتـاب "بنـات الجزيـرة العربيـة" لجين ساسون، وكتاب "ثمن الشرف" لجان جـوردون (1994م). وكلاهما اهتم بموضـــوع المـــرأة المسلمة بصفة خاصة. ولنا أن نتساءل لمـاذا لا نهتم نحن أيضـــاً بدراسة المجتمعـــات الغربية ولاسيما أن لدينا أعـداداً كبــيرة من المسـلمين الـذين يعيشـون في تلك المجتمعـات؟ هل نحن أقل منهم شـــأناً فلا يحق لنا دراســـتهم كما يدرســونا؟ أو هل اكتفينا بما لــدينا من أفكــار جاهزة عن المجتمعات الغربية وطغيـان الحيـاة المادية، والانحلال الأخلاقي، وانتشـار الجريمـة؟ وإذا أردنا إجراء دراسـات علمية أكاديمية حـول الغـرب فمن المسـؤول عن هـذه الدراسـات؟ ومن الذي يتحمل تكاليف إجرائها؟

إننا لن نـدرس الغـرب بحثـاً عن العيـوب ونقـــاط الضـــعف فقط كما إنه لا يمكن أن نعــاملهم بالمثل حيث إننا نعمل وفقــاً للتوجيه الربـــاني في قوله تعـــالى {**ولا يجـــرمنّكم شـنآنُ قَـوْمٍ على ألاّ تَعْـدِلوا اعِـدلوا هُـوَ أقْرَبُ للتّقْوَى**}

وفي هذه المقالة أقدم بضع الصور للحياة الاجتماعية في بريطانيا بخاصة والغرب بعامة، ولئن غلب عليها الطابع السلبي فذلك لأن مصادري إنما هي صحافتهم التي تركز على السلبيات دون الإيجابيات. أما الإيجابيات فأتركها لمن يعيش في الغرب ليبحثها وإن كان حديث الصحافة الغربية عن سلبيات مجتمعاتهم إنما هو من جانب النقد الذاتي الذي نفتقده في العالم الإسلامي بالرغم من أننا أولى منهم بذلك ؛ لأن من أسس الدين الإسلامي النصيحة كما قال صلى الله عليه وسلم :" الدين النصيحة ...الدين النصيحة ..."قلنا لمن يا رسول الله فقال: (لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم)

وفيما يأتي بعض الصور من الحياة الاجتماعية الغربية:

أولاً: السلطات القضائية في نيويورك تبيح للنساء كشف صدوهن:

تقدمت مجموعة من النساء بطلب للسلطات في ولاية نيويورك أن يسمح لهن بكشف صدورهن أسوة بالرجال وبخاصة حينما يشتد الحر. وكان من رأي النساء الراغبات في كشف صدورهن أنهن يردن المساواة مع الرجال الذين يسمح لهم النظام بذلك. أما الأمر الثاني فيزعمن أن صدر المرأة ليس له

علاقة بالإثــارة الجنســية . وقد أجــرت الإذاعة البريطانية (القسم الإنجليزي) استطلاعاً للـرأي في 5ســـبتمبر 1994 مع بعض ســـكان مدينة نيويـورك فقـال أحـدهم " أنا موافق تمامـاً مع كشف الصــدر" وقـــال آخـــرون: "لا تســـمحوا بكشف الصدر، إنها مأساة." بينما قالت امـرأة: "نحن لا نشعر بالأمن بكامل ملابسنا ، فكيف لو كشـفنا الصـدور؟" وقـال ثـالث:" إنهم يريـدون كشف الصدر اليوم ولا أدري ما ذا سيطلبن غداً ؟" وقـال شـخص آخـر:" ما هي الرسـالة الـتي نبعثها إلى المجتمع حينما يسمح للنسـاء بكشف صدورهن ، وما الرسالة التي نوصـلها لأطفالنا ، إنه لأمر فظيع."

حين قرأت وسمعت تــذكرت الآية الكريمة الـتي تخـاطب المؤمنـات بأسـلوب رقيق وبليغ بـــالغض من أبصـــارهن أولاً ثم بـــالأمر بإدنـــاء جلابيبهن، ولكن عيون الغربيات وقحــة، فهن لم يكتفين بالنـظر إلى صدور الرجـال المكشـوفة، بل أردن أن يكشـــفن كالرجـــال. وقد كـــان الحجــــــاب يختلف بين الحـــــرة والجارية في المجتمع المسلم في شدة الحجـاب، وقد نهيت المســلمة عن التــبرج كما كــانت المــرأة في الجاهلية ، وما كــــــــانت تلك الجاهلية تكشف صدرها تماماً كما تريد نساء نيويورك.

ثانياً: ضابطة إنجليزية تواجه مجلس تأديب هـذا الشهر(أغسطس 1994م)

اتهمت الضابطة (برتبة كابتن) أنها كان لها علاقة غرامية مع حـارس مدفعية ، وقد سـبق لهذه المرأة أن غرّمت مئـتين وألف جنيه ووجه إليها تـوبيخ شـديد لعـدم طاعتها للأوامر العسـكرية. ولم تكتف المـرأة بكل ذلك بل سمحت لإحدى الصحف الشعبية (التابلويد) أن تلتقط لها صوراً شبه عارية وزيادة على ذلك فهذه الضـابطة الأم لطفلين أصبحت صورتها شـبه العارية في حجم كبـير يعلقها الجنـود العزاب في غرفهم.

وقد نشرت مجلة التـايم الأمريكية (صيف 1997م) ملفـاً خاصـاً عن سـلوك النسـاء العـاملات في السـلك العسـكري ونقلت عنهم بعض المجلات العربيـة. والغـريب في هـذه القضـايا أن المـرأة تلام إذا كـانت علاقاتها مع عسكريين أقل منها رتبة، ولعل الجيش يتغاضى عن مثل هذه الأفعال إذا كانت مع من هو أعلى منها رتبة.

الفصل الرابع
تعدد الزوجات في الغرب

المبحث الأول
بريطاني يتزوج أربع نساء (*)

حكم قاض بريطاني على مايكال توماس الذي يبلغ من العمر أربعاً وأربعين سنة بالسجن مـدة ثمانية أشهر لأنه متزوج من ثلاث نساء في وقت واحد، واستطاع أن يخدع الزوجات بلسان معسـول والادعاء بأنه مطلّق أو أرمل. وصرح القاضي الذي حكم عليه بان سلوك مايكال المشـين يستحق العقوبة لأنه لم يراع مطلقاً حقوق الأطفال وهو عمل يدل على فقر في الأخلاق والدب . وأضاف القاضي بأن المجتمع المتحضر والنظم يجب أن لا يسمح لمثل هؤلاء الرجال بمعاملة النسـاء بهذه الطريقة . إن هذا العمل يعد تحدياً لمؤسسة الزواج، وزاد القاضي باستخدام لفظ عامي قائلاً له: أنت وغد.

لا تهمنا تفاصيل القضية الأخرى كيف تم القبض عليه أو أوضاعه المالية ، لكن هل القاضي يعني ما يقول حقاً؟ لماذا يكون المتزوج بأكثر من واحدة لا يراعي حقوق الأطفال؟ ألا يعلم القـاضي عن الأعداد الضخمة للأطفال بلا آباء أو الذين ألقت بهن الأمهات؟

---

* - هذا الخبر نقلاً عن أندرو بيرس ونشر في جريدة التايمز اللندنية في 10 سبتمبر 1994م.

ألا يعلم القاضي عن مشكلة الأمهات تحت العشرين بلا زواج؟ أليس أكرم للطفل أن يولد في بيت الزوجية ؟ ثم مـا التحدي لمؤسسة الزواج ؟ إن الإحصائيات الغربية للأزواج والزوجات الذين يخونون أزواجهم وزوجـاتهم تدل على أن الزواج من امرأة أخرى أشرف ألف مرة من الخيانة سواء باتخاذ الخليلات أو ب "الجنس العابر" casual sex . ونتساءل أيضاً ألم يسمع القاضي عن الرجال يعاشرون النساء معاشرة زوجية دونما زواج رسمي وقد ينجبا الأطفال من هذه المعاشرة ، أليس هذا تحد لمؤسسة الزواج؟ لقد أصبح هذا النوع من المعاشرة شائعاً إلى درجة أن مجلة ريدرز دايجست تساءلت في مقالة ما موقف الآباء والأمهات إذا قررت ابنتهما القاصر أن تعيش مع رجل أجنبي دون زواج؟

الأديان السماوية -وإن كان الدين السماوي واحداً وهو الإسلام _ تبيح التعدد وقد عرف هذا الأمر في التاريخ كله عدا عندما سيطرت الثقافة النصرانية الغربية الحديثة فأباحت الفوضى الجنسية واحتقرت مؤسسة الزواج . أليس الغرب هو صاحب تقليعات الهيبيز والبانكس وغير ذلك من الهمجية والوحشية ..؟

المبحث الثاني
الوزير وسكرتيرته

ذكــــرت الإذاعة البريطانية في نشـــــرتها الصــباحية قبل أســابيع خــبراً مفــاده أن وزير الخارجية البريطاني قرر ترك العيش مع زوجته التي قضى معها ثمان وعشرين سنة ليعيش مع سكرتيرته. لم يـذكر الخـبر سن الـوزير ولا سن الســكرتيرة . ولكن بعملية حســابية بســيطة أعتقد أن الـوزير لن يكـون أقل من الخمسـين ولن تزيد السـكرتيرة في الغـالب عن الثلاثين . فما الـــذي دفع الـــوزير إلى البحث عن رفيقة أخـــــرى ليعيش معها رغم أنه أمضى مع زوجه ثمان وعشرين سنة.

لن أطرح الموضوع من زاوية أن الإسلام أباح للرجل أن يتزوج أربعة نساء فــذلك أمر قد يرى فيـه البعض نقاشاً دينياً ليس لكاتب هــذه الســــطور الحق في تناوله أو يشــــعر البعض بحساسية من النقاش بهـذه الطريقـة. ولــذلك ســـأناقش الموضــــوع من ناحية أخــــرى وهي طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة .

ما زلت أذكر أن الدكتور مصطفى محمود كان يتحدث عن العلاقة بين الرجل والمرأة في القرآن الكــريم فأشـار إلى أن الآيـات الكريمة التي تناولت هـذا الموضـوع قد ذكـرت أن هـذه

العلاقة تبـنى أساسـاً على المـودة والـــرحمة .وأن المرأة والرجل كلاهما سكن للآخر والآيات الكريمة في هــذا المجــال هي :{ومن آياته أن خلق لكم من أنفســكم أزواجــاً لتســكنوا إليها وجعل بينكم مـــــودة ورحمة} وقوله تعــــالى {وجعل منها زوجها ليســــكن إليها} وفي اللغة العربية يطلق على الرجل والمـــرأة كلمة زوج. بينمـا جــاءت كلمة حب لتصف علاقة الإنســان بالله عز وجل كما في قوله تعـــــالى {قل إن كنتم تحبون الله فــاتبعوني يحببكم الله) وقوله تعــــالى {إن الله يحب المقســـطين} وقوله تعالى{إن الله يحب الـذين يقـاتلون في سـبيله صـفاً كـأنهم بنيـان مرصـوص}وحب الإنســان للقيم الفاضلة وبأمـور أخرى ومنها حـب المـال والبـنين والـذهب { زُيِّن للنـاس حب الشـهوات من النســاء والبـنين والقنـاطير المقنطـرة من الــــذهب والفضة والخيل المســـومة والأنعـــام والحرث ..}

ويضيف الدكتور مصطفى محمود إلى أنه لا يمكن وصف العلاقة بين الرجل والمـــرأة بــالحب. فــالحب هو العاطفة الــتي توصف بها العلاقة بين العبد وربه . فحين يحب الإنســان لا يكون في القلب مجال لشيء آخر وهكذا فحين يمتلأ قلب المـــؤمن بمحبة الله عز وجل فإنه لا يحب سـواه. وليس في هـذا تقــليل من شـأن

العلاقة بين المــــرأة والرجـل بل إن المـــــودة والرحمة إذا وجدتا فهما شـيئان عظيمـان ، وإذا أضـيف إليهمـا السـكن. وما أعظم السـكن أن يهــدأ الإنســـان وأن يرتـــاح وأن يطمئن وأن لا يقلـق. وكل هـذه الأمـور شـيء عظيم ولـذلك يمكن أن تتوفر مع أكثر من شريك حياة.

إن الإنسان ليتعجب من تمسك النصارى واليهــود بعبــارة وردت في الإنجيل عن العلاقة بين الرجل والمـرأة وأن الربــاط بينهما ربــاط أزلي لا يزيله إلاّ المـــــوت بينما كتــــــابهم " المقـــدس" مليء بقصص الأنبيـــاء والرسل والقادة الذين تزوجوا أكثر من واحدة ناهيك عن الذين اتخذوا الخليلات (حاشا للأنبياء أن يكونــوا كذلك)

أما واقع الحياة في الغرب وفي الشرق أن الرجل يعجب بأكثر من امرأة فما المـانع أن يكون ارتباطه بها شرعاً؟ وفي محاضرة للشـيخ ديـــدات (عافـــاه اللـــه) ذكر أن في الولايـــات المتحدة عـدد النسـاء يزيـد على عـدد الرجـال بثمانية ملايين ، كما تقول الإحصائيات بأن هناك أكـــثر من خمسة وعشـــرين مليـــون شـــاذ من الرجال الذي لا رغبة لهم في النسـاء فكم عـدد النســاء اللاتي بقين بلا رجـال. ومثل هـذا الأمر يقــال في المجتمعـات الغربية وغيرهــا. فمــاذا

تفعل النســاء اللاتي لا رجــال لهم حسب هــذه الأرقام؟

ولو أضفنا إلى ذلك إلى أن الدراسات العلمية في علم الأحياء تقـول بـأن الرجل يظل نشـيطاً جنســياً حـتى بعد السـتين بينما تبـدأ الــدورة البيولوجية للمــرأة بالانحــدار منذ سن الأربعين وبخاصة عندمـا تقـــــــترب من توقف عملية الإخصــاب. فمــاذا يفعل الرجل وهو في شوق عارم ليكون له عشيقة حبيبة شـريكة من الناحية العاطفية والجســـــــدية؟ هل يبقى في خصــام هو وزوجه الــتي تتــأفف من (مراهقــة) زوجها كما يحلو للنســاء أن يطلقن على الرجل في سن الخمسين؟ أو هل يبحث عن خليلة كما هو حـــال الرجـــال في المجتمعـــات الغربية أو المجتمعات التي تأثرت بالغرب؟ .

أما التوافق النفسي والفكري بين الرجل ذي الخمسين سنة أو أكـثر مع فتـاة في العشــرينيات من عمرها فــأمر معــروف فــإن الرجل والمرأة كلاهما قادرين على هذا التوافق ، وهاهو الواقع يؤكد ذلك وأكثر ما يبدو هــذا في المجـال الفـني الـذي يعرفه كل النـاس عنـدما يــرون مخرجــاً أو كاتبــاً مســرحياً أو مؤلفــاً قد ارتبط بفتــــاة تقل عنه في العمر بما يزيد على العشرين سنة.

إن الأمر خطير أن يـترك للعواطف وحــدها وإن كـانت العواطف نفسـها تؤكد على ضــرورة أن نغـير من نظرتنا لارتبــاط رجل بلغ الخمسين أو الستين بفتاة في العشــرينيات من عمرها فهـذا الاستهجـــان الــذي أشـاعته بعض الأفلام السينمائية أو الكتابـات الـتي زعمت أنها تنــادي بتحــرر المــرأة أو تخليصــها من ســطوة الرجل وشــهوانيته هي الــتي يجب أن تبــدأ منذ الآن لتؤكد على ضـــــرورة تيســــير مثل هـــــذا الارتبــاط لما فيه من مصــلحة عظيمة للمــرأة والرجل معــاً وكــذلك للمجتمع ككل لمســاعدته في السعي نحو العفة والفضيلة والشرف.

ونعود إلى الوزير الذي قرر أن يعيش مع ســكرتيرته فلو أن المــرأة الـتي عـاش معها ثمــان وعشــرين ســنة أدركت حاجــات زوجها الملحة لشــيء من البهجة والنشــاط في حياته ورضيت أن يكون لها شــريكة في زوجها لبقيت صديقته وزوجه يلجأ إليها لأنه سيقضي يوماً مع المرأة الـتي عـاش معها ذكريـات طويلـة، وفي اليوم التي يبني حياة جديـدة وذكريـات جديـدة. والسكرتيرة التي وجدت في هذا الرجل الناضج ما تتطلع إليه في الرجل الـــــذي تـــــرغب في العيش معه رضــــيت أن يبقى مع زوجه الأولى لكــان في ذلك تضــحية عظيمة تســتحق معها التقدير والاحترام.

وأمر آخر وهو أن الرجل الذي يستطيع أن يجـدد شـبابه بزواجه من فتـاة تصـغره سـنّا سيســـعى إلى المحافظة على صـــحته البدنية والعقليـة، ولا بد أن هـذا الـزواج سـيدفعه إلى مزيد من الإبـداع في المجـال الـذي يعمل فيـه، وبخاصة إذا كـــان يعمل في المجـــال الفكـــري والفني

الفصل الخامس
دعوة إلى الاحتشام في الغرب

المبحث الأول

شرطة لندن

والملابس المحتشم

قبل أكثر من عشرين سنة تقريبا اجتـاحت الولايات المتحدة الأمريكية ما سمي حينذاك ب "الثورة الجنسية" حيث ازدادت خلاعة الملابس والسلوك، وازداد معها حـالات الاغتصـاب. وقـد اهتم المجتمع الأمـريكي لـذلك ، ولأن المجتمـع الأمريكي -ظاهريـا يحـترم آراء النخبـة المثقفـة فقــد استضــافت إحــدى قنــوات التلفزيــون التعليميـة محاميـة عجـوز فتحـدثت عن أسـباب انتشار ظاهرة الاغتصاب ووجهت اللـوم كلّـه أو معظمــه إلى النســاء وأشــارت إلى أن ارتــداء النســاء للملابس الخليعــة الفــاضحة يشــجع الاغتصاب. وأكدت أن الرجل مهمـا كـان خلوقـاً ومكتفياً جنسياً وخرج من بيتـه وصـدمته مناظر العــري فقــد تدفعــه هــذه المنــاظر إلى هــذه الجريمة. وأوضحت مسألة غابت عـن المجتمــع الغربي حينما خـرجت النسـاء وحـدهن ونلن مـا زعمن أنــه الحريــة وهــو عــدم وجــود المحــرم فنصحت النساء عمومـاً ألاّ يخـرجن من بيـوتهن منفردات بل لابـد أن يكـون معهـا محـرم. وقـد سمعت من علّق على كلام هذه العجوز العاقلة بأنها تريـد أن تعـود بالنـاس إلى عهـود الأجـداد، ووصفت بأنها رجعية.

ومضت أوروبا وأمريكا لا تلقي بالاً للنصيحة والحكمة من حكمائها كما أعرض فرعون وقومه عن نصح الرجل الذي كان يخفي إيمانه، وكفروا بموسى عليه السلام. وهكذا ازدادت حالات الاغتصاب في المجتمعات الغربية وضاقت الشرطة ذرعاً بكثرة الحالات وعجزت عن حماية المرأة(*). وأخيراً تفتقت عقلية الشرطة في لندن عن حل بأن أصدرت كتيباً تدعو فيه النساء إلى الالتزام بقواعد الحشمة في اللباس لمنع تعرض المنحرفين لهن.

وقد نشرت الشرق الأوسط خبر صدور هذا الكتيب وقدمت له قائلة:" في وقت تتصاعد فيه باستمرار جرائم الاغتصاب في بريطانيا ليس فقط ليلاً وفي أماكن نائية مهجورة ،بل أيضاً في وضح النهار وفي الأماكن العامة." ويحتوي الكتيب نصائح كثيرة بخصوص ركوب المرأة في وسائل النقل العامة ، أو السير في الشوارع وغير ذلك من النصائح.

جميل أن يدرك الغرب فوائد الحشمة وضرورة ابتعاد المرأة عن الخروج وحيدة،

---

* -نشرت الصحف خبراً عن اغتصاب ضابطة في الشرطة في قطار ليلي في إحدى المدن الأوروبية ، فإذا كانت الشرطية لا تستطيع أن تحمي نفسها فكيف تستطيع غيرها من النساء؟

ولكن هذا كله إنما هو اهتمام بعلاج الأعراض دون البحث عن جذور العلة. هذا هو الحياء المصطنع.وأما الحياء الحقيقي فهو الحجاب الإسلامي الذي جاء تزكية للنفس وتطهيراً لها . وقد اقترن الأمر بالحشمة بأوامر أخرى تجعل الاغتصاب أمراً لا يكاد يوجد في المجتمع المسلم الذي يتمسك بإسلامه. يقول الحق جل وعلا: {فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض} وأمر النساء بالقرار في البيوت {وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى}.

وليست الحشمة والأدب هما العلاج الوحيد، فقد أمر الإسلام الرجل بكفالة المرأة غير المسؤولة عن إعالة نفسها والخروج من بيتها إلاّ مضطرة . أما في المجتمع الغربي فالأب يطرد ابنته حينما تبلغ الثامنة عشرة أو قد تسكن معه مقابل أجر، وإذا كان عملها يتطلب الخروج ليلاً فمن الذي يخرج لحمايتها؟

والحياء الحقيقي في الإسلام يتمثل في أمر النساء والرجال معاً بالغض من أبصارهن وأبصارهم حماية لعفاف المجتمع. فهل لدى المجتمع الغربي ما يوازي هذا؟ وقد كانت صفة الغض من البصر من الصفات التي افتخر بها بعض العرب في جاهليتهم وبخاصة إذا كانت المرأة جارة كما قال عنترة:

وأغض طرفي إن بدت لي جارتي حتى يواري جارتي مأواها.

إن المرأة بجسدها ومفاتنها سلعة فلا تصح دعاية دون المرأة حتى إطارات السيارات لا تتم الدعاية لها دون المرأة فأين العفة والحياء.

يحتاج المجتمع الغربي للقضاء على الاغتصاب إلى انقلاب شامل، وما هذه العلاجات التي توصف إنما هي لتسكين الآلام وليست للقضاء على المرض. إن العلاج في الحياء الحقيقي الذي يدعو إليه الإسلام الذي يحاربه الغرب ويزعم أنه رجعية ودعوة إلى القرون الوسطى. أين الدعاة المسلمون لتقديم العلاج للعالم كله وليس للغرب وحده.

المبحث الثاني

عندما غطّيت رأسي تفتح عقلي

بقلم شريفة كارلو تقديم وترجمة مازن مطبقاني

بينا كنت أبحث في شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت) عن قضايا المرأة المسلمة في الغرب، وجدت هذه المقالة لامرأة مسلمة كانت قبل إسلامها تسخر من الحجاب وتراه تخلفاً واضطهاداً للمرأة، ولما منّ الله عز وجل عليها بالإسلام تغيرت نظرتها للحجاب ولوضع المرأة في الإسلام، ولا أريد أن أطيل التعليق على هذه المقالة سوى القول إنها توضح بساطة هذا الدين وسهولة إقناع الآخرين به، كما أنها لم تكتب بقلم باحثة على درجة عالية من الثقافة ولكنها عبّرت عن قناعتها بالحجاب. فهذه رسالة إليكن أخواتي المسلمات اللاتي ولدتن في بيوت مسلمة وبين أهل من المسلمين وتجدن أن الحجاب أمراً غير مقبول. (اللهم هل بلّغت اللهم فاشهد) وفيما يأتي مقالة الأخت شريفة زادها الله توفيقاً ويقيناً .

"لم تكن فكـرة العفـاف بالنسـبة لي وأنا غـــير المنتمية للإســـلام وأعيش في المجتمع الغـــربي مما يشـــغل بـــالي، وهـــذا هو الأمر الطـــبيعي لكثـــير من النســـاء من جيلي وكنت أظن أن هذه الأفكار تعبر عن تطرف وأنها غـير

لائقــــة. لقد شـــعرت بالشـــفقة على النســـاء المســلمات المســكينات اللاتي كـان عليهن أن يلبسن تلك (القمامــــة) أو يمشــــين في أغطية السرير كما اعتدت أن أطلق على الحجاب.

لقد كنت امرأة عصرية ومتحررة. لم أكن أعرف سوى القليل عن الحقيقة المزعجة أنني كنت مضطهدة أكثر من أي امرأة مسلمة في أكثر القرى اضطهاداً للمرأة في العالم الإسلامي. لم أكن مضطهدة لعدم قدرتي على اختيار ملابسي أو أسلوب حياتي . لقد كنت مضطهدة بعدم قدرتي على رؤية مجتمعي وكيف كان على الحقيقة. لقد كنت مضطهدة بفكرة أن جمال المرأة شيء عام وأن الإعجاب الغريزي يساوي الاحترام.

إنه عندما هداني الله للإسلام ووضعت الحجاب على رأسي كنت قادرة أخيراً على أن أخرج من المجتمع الذي عشت فيه وأراه على حقيقته. لقد رأيت أن أكثر النساء دخلاً هنّ أكثر النساء تكشفاً أمام الجمهور مثل الممثلات وعارضات الأزياء وحتى الراقصات الخليعات. لقد كنت قادرة على رؤية أن العلاقة بين الرجال والنساء كانت تميل لصالح الرجل. لقد عرفت أنني كنت ألبس كي أجذب انتباه الرجال. لقد حاولت خداع نفسي بالقول إنني فعلت ذلك لإرضاء نفسي، ولكن الحقيقة

المؤلمة كانت أنه ما كان يرضيني هو عندما أجد الإعجاب من أي رجل ويَعُدُّني جذابة.

وأعرف الآن أنه لا توجد طريقة ليعرف الإنسان أنه وسخ إذا لم يكن نظيفاً أبداً. ويشبه هذا أنني لم أكن قادرة على رؤية أنني كنت مضطهدة حتى خرجت من الظلام من هذا المجتمع الظالم إلى نور الإسلام. وبذلك النور الذي أضاء لي الطريق أصبحت أخيراً قادرة على رؤية الظلال التي كانت غامضة بسبب الفلسفات الغربية. ليس من الاضطهاد أن تحمي نفسك ومجتمعك، إن الاضطهاد أن ترمي نفسك في القاذورات وتنكر أنك اتسخت.

أحمد الله عز وجل أن مكنني من معرفة أنني حينما غطيت رأسي أنني سلبت الآخرين من الحكم علي ليس من خلال عقلي أو روحي أو قلبي. عندما غطيت رأسي جعلت الناس تحترمني لأنهم رأوا أنني أحترم نفسي، وعندما غطيت رأسي فتحت أخيراً عقلي للحقيقة."

"التعليم والمواعظ"

" من أبرز العوامل التي جذبتني لهذا الدين العظيم هو أن معظمه يمكن فهمه بناء على العقل والمنطق، وهذا هو ما يجعلني أشعر بأن كثيراً من الآباء والأمهات المسلمين يخطئون عندما لا يشرحون لأبنائهم أكثر. إن

المقولة القديمة "لأنني أقول هذا أو لأنك عربي أو باكستاني أو صومالي (أو أي جنسية أخرى)" لم ولن تجدي أبداً. إن لدى البشر رغبة أساسية ليفهموا ما يفعلون ولماذا يفعلونه، ولهذا فالإسلام دين عظيم لأنه يشبع كل حاجاتنا العقلية والعاطفية وهو يفعل ذلك ببساطة لأنه الحقيقة وأن الحقيقة دائمة سهلة الفهم.

فعندما نعلم أطفالنا يجب أن نستخدم معهم العقل والمنطق الذي نستخدمه لنقنع أنفسنا بأن أي عمل مفيد، وهكذا ونحن نتقبل الإسلام (إن شاء الله) فإنهم سيقبلونه لأنه سيكون مفهوماً لديهم. وبالطبع فإننا نقدم لكل عمل نقوم به أننا نفعله لأننا نريد رضاء الله سبحانه وتعالى وحده وحتى لو لم نفهم، ولكن الحمد لله نستطيع أن نفهم معظم ما هو مطلوب منا أن نفعله.

فعلى سبيل المثال نفهم لماذا لا نأكل الخنـزير لأن الله أمرنا في القرآن الكريم أن نتجنبه. ولذلك نعلم أن نبينا الحبيب صلى الله عليه وسلم أمرنا أن نتجنبه. ونحتاج أن نخبر أبناءنا بذلك، وعندما يكبرون ويزداد وعيهم وفهمهم نشرح لهم ذلك. وهذا يعلمهم بعض الدروس المهمة: أوامر الله سبحانه وتعالى وأوامر رسوله صلى الله عليه وسلم وتعلمهم التعليمات الأساسية في الدين. وبعد ذلك

وحالما يتأسس هذا الفهم نوضح لهم الحكمة من هذه الأوامر. حيث نتحدث إليهم عن الأمراض المرتبطة بلحم الخنـزير والعادات السيئة في حياة هذا الحيوان وتغذيته. وفي النهاية نعلمهم الأشياء التي تساعدهم عن تجنب هذه المعصية. ونعلمهم أن يستخدموا إيمانهم وعقلهم معاً كأدوات لتحقيق الهدف الأسمى وهو دخول الجنة."

الخاتمة

كانت الصفحات السابقة جولة في عالم المرأة في الغرب، تلك المرأة التي جذبت إليها الأنظار لأن الإعلام الغربي هو الأقوى ولأن الحضارة الغربية هي الحضارة السائدة اليوم فمن الطبيعي أن يسود كل ما فيها. ولمّا كنّا في عالمنا العربي الإسلامي لا نعرف من الصورة الحقيقية للمرأة في الغرب إلاّ ما تنقله لنا وسائل الإعلام أو من خلال اختلاط بعضنا بالغرب في أثناء الرحلات السياحية التي لا نعرف من حضارة الغرب إلاّ قشورها فكان لا بد من البحث في أعماق المجتمعات الغربية لعلنا نقدم للقارئ الكريم صورة أقرب إلى الحقيقة والحكمة التي هي ضالة المؤمن.

ولا يمكن أن نزعم أن هذه هي الصورة كاملة ففي الغرب قضايا عديدة لم تسمح مساحة الكتاب بالتطرق إليها؛ فعلى سبيل المثال ظهرت كاتبة أمريكية نشرت كتاباً أثار كثيراً من الجدل في الغرب بعنوان (الزوجة المستسلمة) ثم أتبعته بـ (الفتاة المستسلمة) وأنشأت مجموعة في الإنترنت حول هذه القضية دعت فيه المرأة الغربية أن تعترف للرجل بدور القيادة والقوامة التي تكاد تشبه القوامة عندنا. كما أن في الغرب مجموعات من النساء يحاربن بعض الأدواء الاجتماعية مثل

قيادة السيارات في أثناء السكر وأطلق عليهن (أمهات ضد القيادة أثناء السكر) وقد فعلن هذا لأن بعضهن قد عرفت التأيم وما أصعبه على المرأة حين تفقد ابنها الغالي.

أرجو أن يكون القارئ قد وجد في هذا الكتاب ما يدعوه إلى التعمق في مكانة المرأة في الإسلام ونظرة الغرب إليها وسيكون هذا إن شاء الله أحد مشروعاتي القادمة، والحمد لله رب العالمين